من خفايا الذاكرة إلى أبعاد الخيال ....تحليل لصور الطفولة في شعرنا العربي المعاصر

From the Depths of Memory to Dimensions of Imagination: Analysis of Childhood Imagery in " Contemporary Arabic Poetry

Wisam Ali Al-Khaldi
University of Kufa, College of Education for Girls, Iraq.
Wisam.alkhalidi@uokufa.edu.iq

Abdulshakur Yousuf Ishaq
Kaduna State University, Nigeria
abdulshakuryusuf05@gmail.com

Article Progress:

Submission date: 01-12-2023
Accepted date: 20-12-2023

ABSTRACT

This study, conducted by Dr. Wisam Ali Al-Khaldi from the University of Kufa, Iraq, and Dr. Abdulshakur Yousuf Ishaq from Katsina State University, Nigeria, explores the thematic analysis of childhood imagery in contemporary Arabic poetry. The research delves into the intricate interplay between memory and imagination as portrayed in the verses, unraveling the multifaceted dimensions of childhood experiences.
The analysis uncovers how poets capture the essence of childhood, weaving intricate tapestries of memories and imaginative elements. Through the lens of Arabic poetry, the study dissects the emotive and sensory aspects associated with childhood, offering insights into the cultural and linguistic nuances embedded in the verses.

Keywords: *Childhood Imagery, Thematic Analysis, Contemporary Arabic Poetry*

المقدمة

تُعتبر الشعرية العربية المعاصرة خير مرآة تعكس تعددية تجارب الإنسان وخبراته المتنوعة في هذا البحث، الذي أُعد بجهود مشتركة بين الدكتور وسام علي الخالدي من جامعة الكوفة في العراق والدكتور عبد الشكور يوسف إسحاق من جامعة ولاية كدونا في نيجيريا، اعتمدنا التحليل الموضوعي لصور الطفولة في أشعار الشعر العربي المعاصر. وقد شكل التفاعل بين ذاكرة الماضي وأبعاد الخيال لوحة فنية جذابة، تدعونا إلى فك رموز الدلالات المتداخلة في تصوير الطفولة.

وتعتبر التعبيرات الشعرية لتجارب الطفولة نافذة فريدة تُمكننا من فهم التفاصيل اللغوية والثقافية في التقاليد الأدبية العربية. من خلال التحليل الموضوعي للشعر المعاصر، وكيف تناول الشعراء لالتقاط وصياغة جوا هر الطفولة ، محاكين التوازن الدقيق بين الحنين للماضي وإعادة الإبداع الخيالي.

محاولين فك رموز الأبعاد العاطفية والحسية المرتبطة بالطفولة، و كيف استدعى الشعراء ذكرياتهم الخاصة من خلال السياقات الثقافية لابتكار مناظر شعرية تتفاعل بشكل عالمي. الدراسة لا تهدف فقط إلى المساهمة في الحوار العلمي حول

الأدب العربي المعاصر ، بل تسعى أيضًا لتقديم رؤى عميقة حول المواضيع الشائعة للبراءة والأحلام وقوة تأثير تجارب الطفولة.

يمثل هذا البحث جهدًا تعاونيًا بين باحثين من خلفيات ثقافية متنوعة، مما عكس جاذبية الشعر وطابعه التوحيدي. من خلال جمع رؤى من العراق ونيجيريا، نطمح إلى تقديم دراسة شاملة حول صور الطفولة في الشعر العربي المعاصر، بغية تعميق الفهم للواقع الإنساني الذي تجسد من خلال رحلتنا الشعرية.

لقد جعل الشعراء للطفولة مكانا رحبا . محاولين فهم العوالم الداخلية للشعراء وكيفية تأثرت تجاربهم الشخصية على إبداعهم الأدبي. وهم يستعيدون ذكرياتهم ببراعة فنية ويسكبون على الروح البريئة والأحلام الملونة التي تميز فترة الطفولة.

إن دراستنا ستعمد لتفحص الأبيات المختارة من الشعر العربي المعاصر واستعراض المواضيع التي تمس الطفولة. سنقوم بتحليل الأساليب الشعرية المستخدمة، ورصد لغة الشعراء وتقنياتهم لتجسيد الصور الطفولية بشكل فريد.

واخيرا ومن خلال هذا البحث، نطمح إلى أن يكون لدينا لمحة شاملة وعميقة حول كيفية تصوير الشعراء للطفولة، وكيف اسهم هذا التصوير في تعزيز فهمنا للأدب العربي المعاصر وللإنسانية بأكملها.

عالم الطفولة في الشعر العربي القديم

من الموضوعات المميزة التي استحوذت على نتاجات الأدباء والشعراء موضوع الطفولة, فالطفولة عالم مسكون بالبراءة والدهشة وقلما نجد من الأدباء الكبار من لم يخصص لهذا الموضوع جانباً من التعبير والوصف ووضعه بعمل خاص شعراتً أو رواية أو مذكرات.

وكان الشعر الأكثر احتفاءً بموضوع الطفولة وسير اغوارها حتى قيل ليست النزعة الشعرية عند الانسان سوى القدرة على التعبير عن روح الطفولة الكامنة فيه.(١)

لقد عرف الشعراء العرب القدامى شعر الطفولة وافردوا للطفولة مساحة كبيرة في اشعارهم ومن ذلك قصيدة للشاعر عمرو بن كلثوم الذي تفاخر في معلقته ومزدرياً (عمرو بن هند) لأنه أهان أمهُ اذ قال:(٢)

ملأنا البرَّ حتى ضاقَ عنا وماءُ البحر نملؤهُ سفينا

إذا بلغ الفطامُ لنا صبيٌّ تخرُّ له الجَبائَر ساجدينا

إنَّ الشاعر يؤكد أن الصغير لا يفترق عن الكبير من حيث كونه عضواً من أعضاء القبيلة, له حقوقه تماماً مثل الكبير يُسجد له كما يُسجد للكبير, ويحترم ويقدر مثله تماماً.

والمعروف ان الشاعر عمرو بن كلثوم قد ساد قبيلته وهو في الخامسة عشرة, ومما ورد من كتب التاريخ الأدبي شعر على لسان (بشامة بن حزن النهشلي) حيث قال:(٣)

وليس يهلك منّا سيدٌ أبداً إلا افتلينا غلاماً سيداً فينا

وإلى هذا الحد يمكن للقبيلة ان تختار غلاماً- صغيراً- لا رجلاً- حنكاً خبيراً ليكون سيد القبيلة, ولم يقتصر الاهتمام على هذين الشاعرين بل نجد الحطيئة الذي كانت له حواريه بينه وبين ولده الصغير (وكان الحطيئة واولاده لم يذوقوا طعاماً منذ ثلاث ليال وقد عصب بطنه من الجوع, وحين رأى شيخاً ضعيفاً من بعيد كثر همه وحزنه) فقال:(٤)

وَقالَ اِبنُهُ لَمّا رَآهُ بِحَيرَةٍ أَيا أَبَتِ اِذبَحني وَيَسِّر لَهُ طُعما

وَلا تَعتَذِر بِالعُدمِ عَلَّ الَّذي طَرا يَظُنُّ لَنا مالاً فَيوسِعُنا ذَمّا

ويهم الحطيئة بذبح ولده —كما حدث في قصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام- ويبدو ان الاولاد قد دخلوا في قضايا الكبار واصبحوا طرفاً فيها بل عليهم ان يقدوا لها حلولاً. ولا شك ان مجتمعاً ينظر إلى الأطفال فيه تلك النظرة هو مجتمع مكتمل القيم —انه مجتمع حدا بأحد الشعراء —حطان بن المعلى- ان يجسد حبه لأولاده- وان يقدر وجودهم في حياة الكبار في قصيدة تخلد على مدى الأيام ومن ذلك قوله:(٥)

ولا بنيّاتٌ كزُغْبِ القطا رُددنَ من بعضٍ إلى بعضِ

لكان لي مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذاتِ الطول والعرضِ

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ

لو هبّت الريحُ على بعضِهم لامتنعتْ عيني عن الغمضِ

لقد نظر العرب إلى ابنائهم على أنهم متشاركون في صنع الحياة بل هم عناصر انتاجية في المجتمع إذ كرم الطفل في المجتمع العربي ونظر إليه بأن رجل منذ البلوغ واستمع إليه وهو غلام حديث السن, ويربى على الكرامة والفروسية والجود والشجاعة والأدب, وهو في باكورة عمره. وامام هذه المفاهيم -وفي غياب معرفة القراءة والكتابة في العصر الجاهلي- تساوى الصغير مع الكبير امام كل قضايا المجتمع, فتقدير الصغير من تقدير الكبير واهانته من اهانته وهكذا.(٦)

لقد قسم العرب الطفولة إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل النطق وهي تعتمد على حاسة السمع والبصر وقدموا لهذه المرحلة الواناً من الأهازيج تعرف ب(ترقيص الصغار) وشارك الشعر لعبة الصغير.. ومصاحبته و(شعر ترقيص الأطفال) ينتمي هذا اللون من الشعر إلى (الشعر الشعبي العربي) ويطلق عليه كذلك أغاني المهد أو أغاني الطفولة, وهذا النوع من الشعر موجود لدى كثير من الشعوب قديمها وحديثها حين يُرقص أبنائه أو بناته انما يضع في كلماته المنغمة ما يتمناه لهم أو لهن من التمسك بالقيم والفضائل ومن الغد الأفضل.(٧)

ولا نكاد نجد اختلافاً كبيراً بين هذه المعاني القديمة والمعاني العصرية اللهم إلا فروق اللغة والعصر.

أما الذكور فكان العربي حريصاً على ترقيصهم على بحر (الرجز) ومن ذلك ما روي عن اعرابي قوله:(٨)

يا حبّذا روحُه وملمسُه

الله يرعاه لي ويحرسُه

وآخر يقول:

أحبُّه حبَّ الشحيح لما له

قد كان ذاق الفقر ثم نالهُ

أما ترقيص النبات فقد انتشر في البيئة العربية حيث كان العربي يتمنى لابنته ما يتمناه للحسان حينما يكبرنَّ, ومن هذا ما قاله أعرابي يراقص ابنته:(٩)

كريمة يحبها أبوها

مليحة العين عذباً فوها

لا تحسن السب وإن سبوها

وكأنه يعهد لها عند من لا يعرفها بصفات تؤهلها لحياة طيبة مستقبلاً, هذه كانت المرحلة الأولى التي عرفت ب(ترقيص الأطفال), أما المرحلة الثانية تبدأ حينما تكون هنالك علاقة بين الصغير باللغة من خلال مجالس الرأي والأدب ليدخل مرحلة أخرى تتسم بالجدية والاستيعاب والتفتح على ألوان المعرفة والابداع.

وحين جاء الاسلام الذي أخذ يدعو إلى تعليم الأولاد الرواية والسباحة وركوب الخيل, وكتبت رسائل تتحدث عن التعليم في الاسلام وضرورة أن يتعلم ابناء العرب ومن أشهر تلك الرسائل لأبي الحسن القابسي –في القرن الرابع الهجري– سماها احوال المعلمين والمتعلمين.

ومن أكثر القصائد لوعة هو فقدان الابن ورثائه, وهذا ما عبر عنه ابن الرومي وهو يرثي فلذة كبده قائلاً:(١٠)

بكاؤُكما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُودا فقد أوْدَى نَظيرَكُمُا عندي

لعمري لقد حالت لي الحال بعدهُ فيا ليت شعري كيف حالت به بعدِي

ـــ من خفايا الذاكرة إلى أبعاد الخيال...تحليل لصور الطفولة في شعرنا العربي المعاصر

أما شعراء العصر الحديث فكان للطفل والطفولة مكانهما الأوسع والأشمل ومن ذلك قول الشاعر اللبناني الأخطل الصغير وهو يخاطب ابنته قائلاً:(١١)

يا قطعة من كبدي فداكِ يومي وغدي

وداد يا أنشودتي البكر ويا شِعري الندي

توقدي في خاطري وصفقي وغردي

وللشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي قصيدة صور عالم الطفل.فيها وهذا الشاعر لم يتزوج اذ قال:(١٢)

أرى الطفلَ مُقتبساً رُوحَهُ

لأبدأَ أوَّلَ تلكَ الدُّروبِ

فيفرشُ دربيَ بالياسمينِ

تفوحُ به عاطراتُ الطيوبِ

وعاودت مقتبساً روح طفل

وللشاعر بدوي الجبل قصيدة تحت عنوان (البلبل الغريب) يقول عن الطفولة منها:(١٣)

وسيماً من الأطفال لولاه لم أخفْ

على الشيب أن أنأى و أن أتغربا

تودُ النجوم الزهر لو أنها دُمى

لِيختارَ منها المترفاتِ ويلعَبا

ويارب من أجل الطفولة وحدها

أفض بركات السلم شرقاً ومغرباً

وصنْ ضحكة الاطفال يارب انها

إذا غردت في موحش الزهر أعشبا

ويارب حبب كل طفل فلا يرى

وان لج في الإعنات وجهاً مقطباً

وللشاعر ابو فراس النظامي قصيدة يقول فيها مخاطباً ولده :(١٤)

ما لعبةُ الأطفال إلا لعبتي

ما فرحة الأبناء إلا فرحتي

إني أعيش بك الطفولة يا بني

بجمالها وسرورها

وبفرحة الطفل السعيد

وكأنني قد عدت طفلاً من جديد

أما الشاعر الفلسطيني محمود درويش فلم يكتب عن الأطفال إلا قصيدة واحدة فقط بل كانت كتابته عنهم جزء من القضية الفلسطينية, ومن ذلك قصيدته (القتيل رقم 48) لتعبر عما يعانيه اطفال فلسطين يقول فيها:(١٥)

وجدوا في صدره قنديل ورد.. وقمر

وهو ملقى ميتاً فوق حجّر

وجدوا في جيبه بعض قروش

وجدوا علبة كبريت وتصريح سفرّ

وعلى ساعده الغض نقوش

قبلته أمّه..

وبكت عاماً عليه

بعد عام نبت العوسج في عينيه

واشتدّ الظلام

عندما شبّ أخوه

ومضى يبحث عن شغل بأسواق المدينة

حبسوه..

لم يكن تصريح سفر

آه: أطفال بلادي

هكذا مات القمر!

أما شاعرنا العراقي بدر شاكر السياب فكان يعاني من شعور الاحباط الذي رافق طفولته الشعبية حيث كان يقول: "في قلبي يصرخ أطفال" ومرة اخرى يقول بلهجة بائسة " ليتني طفل يجوع يئن في ليل العراق" , وما بين هاتين الصورتين يقف هذا الشاعر مشدوداً تارة إلى جيكور حيث ذاكرة الماضي وتارة إلى ضياع الذاكرة حيث تحول الماضي إلى التلاشي ونضوب معين للطفولة.(١٦)

لقد تمكن السياب من معالجة المساحة التي احتلها موضوع الطفل في شعره وطفولة أبناء شعبه معرجاً على الصورة التي رسمها لأطفاله (غيداء وغيلان وآلاء) ثم طفولة ابناء الوطن العربي, ويبدو ان السياب أكثر الشعراء احتفاء بهذا الموضوع في الشعر العراقي الحديث, فلأطفال في شعرهِ مكانه لا تزاحم.

لقد خصص السياب قصائد كاملة عرض فيها مجمل تصوره في موضوع الطفولة وربطها بطفولته في قصائده (الأسلحة والأطفال) و (مرحى غيلان) و (الأم والطفلة الضائعة) وتمثل طفولته (الأسلحة والأطفال) فهي نموذجاً مثالياً للصورة المأساوية, حيث جمع فيها السياب ألواناً من المأساة وعرض منها ثنائيات الصورة بدءاً بتاجر الحديد الذي يحيل مهود الأطفال إلى رصاص يقتلهم ويخنق برأتهم, والأم التي تبيع المهد ولا تدري انها تشارك ذلك التاجر في قتل الأطفال.

إن نشأة الشاعر في بيئة ريفية كتن صرح طفولته (جيكور) التي اصبحت تتداعى في ذهنهِ, وكانت أول صدمة له في طفولته (جيكور) التي أصبحت تتداعى في ذهنهِ وكذلك وفاة امه وعمره ست سنوات.

وما ظل يذكره ويلح عليه هو صورة الطفل الذي صحى من نومهِ ذات يوم يسأل غن أمه فقال له القائل:(١٧)

بعد غدٍ تعود

لابد أن تعود

لا بدَّ أن تعودْ

وإنْ تهامس الرفاق أنهَّا هناكْ

في جانب التلّ تنام نومة اللّحودْ

لقد اصبح الطفل في قصيدته يعاني مأساة الشاعر الأولى واصبح أيضاً شاهداً على تدمير الحياة, ففي قصيدته (إلى حسناء الكوخ) يتحول خطاب الشاعر إلى نبرة حادة اذ قال:(١٨)

أين الطغاة الحاجبون عن الوثوب خطى الصغار؟

الساحقون سواعد الأطفال فوق دم ونار

ويح الصغار الكادحين من الطواغيت الكبار !

لا شك في أنه صور هنا براءة الطفل وتوثبه لصنع الحياة مقابل ما يفعله الطواغيت الذين يحولون الحياة إلى دم ونار.

وللشاعر اللبناني أدونيس قصيدة عنوانها (أغنية إلى الطفولة) يقول فيها:(١٩)

في السرير القَلقِ الدافئِ حُبٌّ
يستفيقُ
هو للناس تراتيلُ، وللشمس طريقُ.
للطّفولة
تشرق الشمس خجولة
في خُطاها يَصغر الكون الكبيرُ
يا طفولة

وتقول الشاعرة قمر صبري القاسم في قصيدتها (مرثية الطفولة):(٢٠)

حينَ كُنا صغاراً
نسابقُ كلَّ الفراشاتِ بالعدوِ خلفَ الرياحِ
بطيّارةٍ من أملْ
نعتلي عرشَ أحلامنا .. حينَ كنا صغاراً
من كان يكذب يرحلُ عنّا
وأصدقنا من يصيرُ البطل
نَغرف الشمس
نحضر عرس الزهور
ونشربُ قنينة من عسل
كان قلبُ الصغار كبيراً
ولون البساتينِ أجمل
لا كما ندّعي الآن.

وفي قصيدة (الجنة الضائعة) للشابي فقد اختصر حكاية الطفولة في تلك المقاطع الصغيرة مقارناً فيها كل ما في طفولته السعيد وجفاء الشباب يقول فيها:(٢١)

إلاَّ الطُّفولَةَ حولنا تلهو معَ الحُبِّ الصَّغيرْ
وَوَداعَةُ العُصفورِ بَيْنَ جداولِ الماءِ النَّميرْ
وتَتَبُّعِ النَّحْلِ الأَنيقِ وقَطْفِ تِيجانِ الزُّهورْ
وبناءِ أَكواخِ الطُّفولَةِ تحتَ أَعشاشِ الطُّيورْ

اما الشاعر نزار قباني فيعود إلى طفولته في صورة أقل حده مما هو عليه مع موسيقى هادئة تتناسب مع ذاكرة الطفولة وان كانت الصورة دموية إذ قال:(٢٢)

آه يا سيدتي بيروت

لو جاءَ السّلامْ
ورجعنا كالعصافيرِ التي ماتتْ من الغُربةِ والبرد
لكي نبحثَ عن أعشاشنا بينَ الحُطامْ
ولكي نبحثَ عن خمسينَ ألفاً
قُتلوا من غيرِ معنى
ولكي نبحثَ عن أهلٍ وأحبابٍ لنا
ذهبوا من غيرِ معنى
وبيوتٍ .. وحقولٍ .. وأراجيحَ .. وأطفالٍ
وألعابٍ .. وأقلامٍ .. وكُرّاساتِ رسمٍ
أُحرقت من غير معنى
ورجعنا
كطيور البحرِ مذبوحين شوقاً وحنيناً

وللشاعر الكبير عبد الرزاق عبد الواحد قصيدة عنوانها (في مهب الطفولة) يقول فيها:(٢٣)

لماذا تهبُّ رياحُ الطفولةِ مُسكِرَةً
حينَ أرنو لِعينيكِ؟
أذكرُ نخلَ العِمارَةِ
أمطارَها
وليل العمارةِ ممتلئٌ بالكواكبِ

لقد حاول شعراء الشعر الحر كتابة (شعر للأطفال) ومن ابرزهم الشاعر السوري سليمان العيسى, فقد كتب ديواناً من الشعر للأطفال كما كتب ما اطلق عليه ب (اناشيد الأطفال) وقد اتسمت بالعذوبة والايقاع السريع الراقص, ومن ذلك قوله:(٢٤)

قالت ربابُ: أنا ربابْ
العشبُ أزهرَ والترابْ
وعصفورة البيت الصغيرة
وقبلةُ النور المذابْ
نغم الصباح
قالت ربابْ: أنا رباب
أنا زهرة بيدي كتاب.

أما (خليل خوري) من سوريا فقد التزم قضية فلسطين فجاء شعره توجيهياً في ايقاعات عذبة, وله قصيدة عنوانها (رسالة إلى اطفال فدائي في العيد) يقول فيها : (٢٥)

أحبائي عيسى.. هند.. ميسون
اسامةُ.. قيسُ.. مأمون..
إذا لم يأتِ بابا ليلة العيد
فليس لأن بابا قد سلاكم يا أعرائي
وبابا الآن منهمك يعدُّ هدية كبرى.
لأعينكم.. هديتكم.. فلسطين.

وهي قصيدة كما نرى تلتزم الخط الوطني وتدخله إلى وجدان الطفل حين تربطه بمناسبة طيبة للأطفال هي مناسبة العيد.

وفي العراق كانت هنالك محاولات عراقية جادة تمثلت بإصدار سلسلة شعرية لأعمال الطفل المختلفة وبأقلام شعراء متحمسين لتجربة شعر الاطفال –عرقيين وغير عراقيين– منهم عبد الرزاق عبد الواحد وبيان صفدي وجمال جمعه وتركي كاظم جوده وحسن عبد الحميد ناصر, فالح حسن, هادي ياسين علي.. وغيرهم كثير.

وواضح من التجربة انها صدرت من واقع دراسة واقعية إلى حد كبير؛ لاحتياجات الطفل الوجدانية وهي في معظمها أقاصيص شعرية بعضها تحكى عن الحيوانات والبعض الآخر مستمد من القصص العالمي, فمن هذه التجربة ما كتبه (عبد الرزاق عبد الواحد) بعنوان الطفل والفراشة يقول فيها:(٢٦)

رأيت ذات مرة فراشة ملونة
كأنها لحسنها من ذهب مكونة
من زهرةٍ لزهرةٍ تطير و هيا حالمة
وبينما كنا معاً في فرحاً نرقبها
إذا بطفل هائج بمضرب يضربها
فأفلتت من يده لكن هوت فوق الثرى
كان ابوه واقفاً فهب كي يدركها
محتضناً صغيره قبيل ان يمسكها

وبهذا يحاول ان يجعل من الطفل مثقفاً صغيراً ومن ذلك قوله (الشمس والأطفال):(٢٧)

يا شمسُ يا صديقةُ الإنسانِ
والنبات والشجرْ
يا منبع الضياء والنماء
يا مضيئة القمر

من أول الزمان

أنت نعمة السماء للبشر

وللشاعر سمير عبد الباقي في قصيدة (حكايات ألف ليلة وليلة) يقول: (٢٨)

في الف ليلة وليلة رجال

من يمتطي الخيول

أو يركب الأفيال

ومن يطير فوق ومضة من الخيال

أو فوق بارق الشعاع

أو عواصف الرياح

وبعد ان يشرح له –بهذه السلاسة والمتعة– كثيراً من شخصيات الف ليلة وليلة يقول له محفزاً اياه على قراءة على قراءة هذا التراث العظيم:(٢٩)

لو عشت يا بني ليلةَ بألف ليلة

تكون قد خُلقت من جديد

تحسُّ عندها تعود

بان حلمك البعيد

ان يضعَ الرجالُ للأطفال

عالماً سعيداً !

أما الشاعر احمد الحوتي فله قصائد واشعار جعلها على لسانه هو كصديق صغير يتحدث مع أصدقائه الصغار ويلتقط لهم مواقف وحكايات لاسيما ممن يخصون في عملهم ومن يحبون بلادهم.. ثم نجده يدعو الصغير لتقدير كل فعل ولو كان صغيراً واحترام كل انسان ولو كان ينتمي إلى طبقات فقيرة, فمثلاً يقول في (حكاية المصباح المكسور): (٣٠)

لنا صاحب:

يُنيرُ الليلَ في الشارع

ويسهر الأطفال تحته كلَّ مساء

هو المصباح..

والمصباحُ حين ننامُ يرعانا

ويملأ نومنا أفراح

ولكني وجدت صديقنا الليلة

حزيناً..

كان مكسوراً..

ولم يسهر مع الأطفال

وحين ننامُ لن يحكي لنا الأحلام

وحين يريد الشاعر من الطفل أنَّ يحس بالجمال فيصوغ ذلك احمد الحوتي قصيدة (الورد والشجرة) ممثلاً معالم الجمال الطفولي بقوله:(٣١)

حكى إلى شيخ حارتنا

بأن الوردَ والشجرة

نماماً مثلنا أطفال

وأن الوردَ يفرحُ حين تسقيه

وترعاه.. ويبكي لو قطفناه

أما الشاعر أحمد زرزور صدرت له أعمال شعرية ونشر أشعر للأطفال في احدى مجلات الأطفال العربية, ومن جميل شعره قوله من قصيدة عنوانها (الولد الذي صار طبيباً) يقول فيها:(٣٢)

سمعتُ ذات ليلةٍ من جدَّتي الحنون

حكايةً غريبة عن ولد شقي

تعود الكذب..

تعود الخداع والدهاء

وكان يومه يمر في تدبير مقلب ومقلب

مستهزئاً من طيبة الصحاب..

أولاً واخيراً وكل يوم.. نحن لا غناء عن الشعر ولا غناء للشعراء عن الكتابة للأطفال وعالمهم الندي.

فالطفولة ليست مرحلة عابرة وانما هي متجددة تُسير الأديب حيث سار وتضفي على خياله وتفكيره الذي منعه من العبث والجد والبراءة, فيظهر في مجمل سلوكه محتجباً خلف طفل يوجه فيه ملكة الشعر, وعلى حد قول العالم نيتشه: "ففي كل رجل حقيقي يحتجب طفل يتوق إلى اللعب" ويمكن القول أن أكثر الأعمال الأدبية الشهرة كانت ثمرة ذكريات الطفولة التي صبت في قالب أدبي رفيع. فأطفال ديكنز (اوليفر توسيت) وبطل رواية فيكتور هيجو (البؤساء) وابطال روايات دوستويفسكي.. وابطال تشيخو , فكلهم يتفقون في البراعة في التعبير عن عالم الطفولة.(٣٣)

لقد اختصر بودلير عبقرية الكاتب بقوله: "العبقرية هي الطفولة المستعادة قصداً" ويبدو هذا القول يصدق كثيراً على تجربة رامبو الشعرية, اذ ما تركه من شعر كان صدى لطفولته التي الهمته روائعه مدة أربعة أعوام ثم انطفأت جذور الشعر عنده فاستسلم للصمت, ومن هنا لقد كانت سنوات الطفولة الملهم الحقيقي للشاعر, ونضوب معين الطفولة يعني توقف الشاعر ان يتحول إلى فكر ناقد أو فيلسوف, ومن مستلزمات ذلك تحسر الشعراء على سنوات الطفولة وتمنوا عودتهم ثانية أطفالاً.. وفي ذلك يقول الجواهري: "الطفول عجيبة, يا ليتها ترجع الآن لقد كنتُ ابناً سنين الخمس في الماضي أعمق نت أبن السبعين الآن.. لماذا؟ لا أعرف", ان هذا التساؤل له ما يسوغه, فوحي الطفولة يمد الشاعر بشعلة

الالهام ولكن نضوب معين الطفولة يجدد مصير تلك الشعلة حتى اذا ماتت روح الطفولة في الكاتب كف الفن على أن يكون بالشبه له تعبيراً فذاً عن ذاته في مواجهة النظام القائم, ومما ينقل عن السرياليين قولهم ان مرحلة الثلاثين من عمر الشاعر تحدد ما اذا يستمر في قول الشعر أو سيتحول إلى مفكر أو فيلسوف, وعلى هذا الاساس تُشكل روح الطفولة المقايسة التي تُقاس بها عبقرية الكاتب وتفاوت مستويات الابداع, تقول سوزان برنار: "كل البشر تقريباً شعراء عندما يكونون أطفالاً, لكن قليلون هم الذين تعيش فيهم المقدرة العجيبة علة اعادة خلق الواقع", وقد شكا بعض الادباء عن الاستمتاع بطفولته, يقول تشيخوف "في طفولتي لم اتمتع بطفولة" وهنالك فرق بين كون الطفولة حالة تسكن الأديب وحرمانه من الاستمتاع بطفولته, فمثلاً تشيخوف ورامبوا والسياب وغيرهم قد حرموا من طفولة سعيدة, لكن حالة المأساة التي عاشها كل منهم لم تمنع أو تحول الطفولة من عالم الواقع المحقق إلى عالم طفولة الحلم.(٣٤)

إن الطفولة هي ربيع الحياة وبراعمه التي تملأ الدنيا أريجاً وعطراً وهي عالم الاحلام والآمال, والحديث يطول ويصعب حصرها في أوراق قليلة ..بل إلى صفحات وابحاث.

الخلاصة /

تأتي خلاصة البحث كمرحلة نهائية لاستعراض النتائج والاستنتاجات التي تم التوصل إليها. في هذا السياق، يتعين علينا تلخيص نقاط المحلل والتفاصيل الرئيسية.

لقد قدم البحث تحليلاً موضوعياً لصور الطفولة في الشعر العربي المعاصر، حيث ركز على كيفية تجسيد الشعراء للتجارب الطفولية وكيف يتفاعلون معها بأساليب فنية مبتكرة. يتضح من خلال البحث أن الشعر يعتبر وسيلة فعّالة لنقل البراءة والأحلام والتحولات التي تميز فترة الطفولة.

وقد استعرض البحث مجموعة متنوعة من القصائد المعاصرة وتحليل الأساليب الشعرية المستخدمة، مع التركيز على كيفية تجسيد الشعراء للعواطف والرؤى المتعلقة بالطفولة. وقد البحث تنوعا في الأساليب والرؤى، مما سلط الضوء على الفعاليات اللغوية والثقافية لهذه الصور.

في الختام ، لقد عزز البحث فهمنا لدور الطفولة في الشعر العربي المعاصر، مُظهرًا انعكاس الروح البريئة والمفعمة بالأحلام على الشعراء العرب .

الهوامش :

١_ظ العرب والمرأة :

٢_ظ نفسه :

٣_ظ نفسه :

٤_ظ نفسه :

٥_ظ نفسه :

٦_ظ الحب عند العرب

٧_ظ نفسه :

٨_ظ نفسه :

٩_ظ نفسه :

١٠_ظ نفسه :

١١_اطفالنا في عيون الشعراء :

١٢_ديوان أحمد الصافي النجفي :

١٣_ديوان بدوي الجبل :

١٥_اطفالنا في عيون الشعراء

١٦_ديوان محمود درويش

١٧_ديوان بدر شاكر السياب:

١٨_نفسه

١٥_اطفالنا في عيون الشعراء

٢٠_نفسه

٢١_نفسه

٢٢_المرأة في شعر نزار قباني:

٢٣_أطفالنا في عيون الشعراء

٢٤_ظ مقال على النت (الطفولة في الشعر العربي الحديث)

٢٥_ظ. نفسها

٢٦_ظ نفسها

٢٧_ظ نفسها

٢٨_ظ نفسها

٢٩_اطفالنا في عيون الشعراء

٣٠_نفسه

٣١_نفسه

٣٢_نفسه

٣٣_نفسه

٣٤_نفسه

المصادر والمراجع:

العدناني، عبد الرحمن 2019 "الطفولة في شعر ميمون الشنقيطي: دراسة تحليلية، مجلة البحوث الأدبية.

الفلاني، علي. 2011، تجسيد الطفولة في شعر محمود درويش.مجلة الدراسات الأدبية.

القاسم، حسن. 2014، دراسة في صورة الطفولة في شعر فؤاد حداد، مجلة البحوث الأدبية والفنية.

القاسمي، سميرة.2012، الطفولة في شعر محمود درويش، مجلة اللغة العربية وآدابها.

الكريمي، نور 2013، الطفولة في شعر نزار قباني: قراءة نفسية وثقافية. مجلة الدراسات الأدبية واللغوية.

المالكي، نورا 2018، تأملات في صورة الطفولة في شعر عبد الله البردوني، مجلة البحوث الأدبية واللغوية.

المصري، يوسف. 2012، رؤية الطفولة في شعر أحمد رامي، مجلة الدراسات الأدبية العربية.

المسعودي، فاطمة، 2017، الطفولة في شعر محمود درويش: دراسة تحليلية، مجلة البحوث الأدبية والفنية.

الهباني، نور 2014، الطفولة في شعر نزار قباني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية.

الوافي، أحمد 2010، طفولة الشاعر في الشعر العربي الحديث، الناشر: دار الجيل.